

تفسير ابن كثير

وَقَدْ مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ

وقد روى شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن [بن دايل] أن عليا - رضي الله عنه - قال في هذه الآية : (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) قال : أخذ ذاك الذي حاج إبراهيم في ربه نسرين صغيرين ، فرباهما حتى استغلظا واستعلجا وشبا . قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتر إلى تابوت ، وجوعهما ، وقعد هو ورجل آخر في التابوت قال : - ورفع في التابوت عصا على رأسه اللحم - قال : فطارا [قال] وجعل يقول لصاحبه : انظر ما ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كلها كأنها ذباب . قال : فقال : صوب العصا ، فصوبها ، فهبطا . قال : فهو قول الله - عز وجل - : " وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " . قال أبو إسحاق : وكذلك هي في قراءة عبد الله : " وإن كان مكرهم " . قلت : وكذا روي عن أبي بن كعب ، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أنهما قرآ : " وإن كان " كما قرأ علي . وكذا رواه سفيان الثوري ، وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أذنان عن علي ، فذكر نحوه . وكذا روي عن عكرمة أن

سياق هذه القصة لنمرود ملك كنعان : أنه رام أسباب السماء بهذه الحيلة والمكر ، كما رام ذلك بعده فرعون ملك القبط في بناء الصرح ، فعجزا وضعفا . وهما أقل وأحقر ، وأصغر وأدحر . وذكر مجاهد هذه القصة عن بختنصر ، وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها ، نودي أيها الطاغية : أين تريد ؟ ففرق ، ثم سمع الصوت فوقه فصبوب الرماح ، فصوبت النسور ، ففزعت الجبال من هبتها ، وكادت الجبال أن تزول من حس ذلك ، فذلك قوله : (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) ونقل ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها : " لتزول منه الجبال " بفتح اللام الأولى ، وضم الثانية . وروى العوفي عن ابن عباس في قوله : (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) يقول : ما كان مكرهم لتزول منه الجبال . وكذا قال الحسن البصري ، ووجهه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من كفرهم بالله وشركهم به ، ما ضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها ، وإنما عاد وبال ذلك على أنفسهم . قلت : ويشبه هذا - إذا - قوله تعالى : (ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) [الإسراء : 37] . والقول الثاني في تفسيرها : ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) يقول شركهم

، كقوله : (تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن

ولدا) [مريم : 90 - 91] وهكذا قال الضحاك وقتادة .